رأي القدس

دولة فلسطينية مؤقتة؟

■ رفض الرئيس الفلسطيني محمود عباس مقترحات اسرائيلية حملتها اليه السيدة كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الامريكية، تقضي باقامة دولة فلسطينية بحدود مؤقتة، وكان لافتا ان السيدة رايس نفسها غسلت يديها منها، وقالت في حديث ادلت به الى القناة التلفزيونية الاسرائيلية «ان خريطة الطريق يفترض ان تستخدم دليلاً للوصول الى دولة فلسطينية دون تجاوزات لأي مرحلة من مراحلها».

تسيبي ليفني وزيرة الخارجية الاسرائيلية هي صاحبة اقتراح الدولة الفلسطينية المؤقتة، انطلاقاً من خطة اسرائيلية تريد قطع الطريق على قناعة اوروبية امريكية بضرورة احياء عملية السلام، واستئناف المفاوضات، والتركيز على حل الدولتين.

هذه القناعة تعمقت بعد اكتشاف الغربيين ان الاستماع الى وجهة النظر الاسرائيلية والعمل بها، هو الذي ادى الى انهيار السياسة الخارجية الامريكية برمتها في المنطقة، وصعود احزاب التطرف ومنظماته، وفشل المساعي المبذولة لنشر الاصلاحات الديمقراطية.

ليفني تريد دولة فلسطينية مؤقتة من اجل ابقاء الوضع الحالي، وعدم تفكيك المستوطنات الاسرائيلية، وبقاء الهيمنة الاسرائيلية على المناطق المحتلة والشعب الفلسطيني بالتالي.

بعبارة اخرى تريد السيدة ليفني اعادة احياء صيغة الحكم الذاتي، بالشكل الذي كانت عليه بعد توقيع اتفاقات اوسلو، وتغيير اسمه فقط، اي من «حكم ذاتي» الى دولة فلسطينية مؤقتة، ثم بعد ذلك تظل هذه الدولة المؤقتة بدون حدود واضحة لعشرات السنوات المقبلة.

السيد عباس يؤمن ايماناً راسخاً بالحدود المؤقتة، والدولة المؤقتة، انطلاقاً من قناعته بضرورة تدرج الحلول، وهذا ما يفسر قبوله باتفاقات اوسلو، واعتبارها مرحلة على طريق الحل الدائم. وهذا ما يفسر ايضا تقسيم مناطق الضفة الغربية بالذات الى «أ» و«ب» و«ج».

لكن الايام التي كان فيها السيد عباس يقرر كل شيء يتعلق بمستقبل الشعب الفلسطيني قد ولت وربما الى غير رجعة. فمنظمة التحرير التي استخدمت كغطاء في هذا الخصوص تآكلت، وحركة «فتح» لم تعد التنظيم الاكبر في الاراضي المحتلة، مثلما كشفت الانتخابات التشريعية الاخيرة.

هذه التغييرات املت على السيد عباس ان يرفض فكرة الدولة المؤقتة بشكل صريح وواضح، لأنه لا يريد أن يضيف خلافات جديدة تصب الزيت على نار التوتر القائم حالياً مع حركة المقاومة الاسلامية «حماس» وهو التوتر الذي اوشك على الانفجار بشكل حرب تصفيات دموية شاملة بين التنظيمين.

السيدة رايس ادركت بدورها ان القبول بالمقترحات الاسرائيلية ومحاولة فرضها على الطرف العربي لم يعودا عملية مقبولة او حتى ممكنة، مثلما كان عليه الحال في الماضي، لأن رؤية المنطقة من وجهة النظر الاسرائيلية هي التي ادت الى الهزائم الامريكية العسكرية والسياسية فيها التي نراها حالياً في العراق وفلسطين ولبنان.

جولة السيدة رايس هذه ستكون مختلفة عن معظم جولاتها السابقة في المنطقة، لأن الانظمة العربية باتت تطلب ثمناً فورياً وملموساً، لأي تعاون مستقبلي مع الادارة الامريكية وحروبها، وخاصة على صعيد تسوية الصراع العربي الاسرائيلي، ومن المؤكد ان هذا الموقف الجديد لمسته رايس في جولتها السابقة، وستجد تأكيداً عليه في جولتها الحالية.

السؤال النهضوي في العصر المرآوي؟

مطاع صفدي *

■ في منعطف الزمان من سنة إلى أخرى، لا يمل الفكر (العربي) بخاصة من مواجهة الاستعصاء القديم والمتجدد. يقول خُطابه: هل لا يزال السؤال النهضوي قائماً في ظل الانكسار العام، وبعد المزيد من إحباط مشاريعه. فهي التي لا تكف عن الطموح إلى أن تكون أجوبته المجسدة المتحققة. فقد يقال إن السؤال النهضوي يبقى من مستوى التاريخانية، أي الراهن دائماً. في حين أن أجوبته هي من طبيعة تاريخية، أي هي من سلالة الأحداث والوقائع، وما يمكن أن توصف عملانياً بأنها مجرد تجارب. حتى أن أكثرها قد لا يبلغ درجة التجربة. إذ أن غالبية المشاريع/الأجوبة لم تبرح عتبات التمارين الأولية. بل تنقذف إلى حمأة الممارسات بدون أية ضمانات سوى أنها رهانات مقنعة تحت حُلل براقة من ادعاء حتميات مأمولة أو مفتعلة.

لكن السؤال النهضوي قد يمضي ولا ينقضي. يناور بالانسحاب الآني والموارِبة. إلا أنه لا يتخلى عن نصوصه، وإن هو هجر وهاجر من تأويلاتها. فليس الخطر في تساقط التأويلات هذه، بل في التردي إلى تلك الحالة التي لا يموت فيها النص وإن توارى، وإنما ينعدم البحث عنه. عندئذ تنفقد البوصلة في خارطة من انعدام الجهات الأربع نفسها في ساحتها.

وهنا في هذه اللحظة الهاربة، وقبل أن تضيع الخارطة، وتتجرد الوساعة الصمّاء من جهاتها الأربع، يصير النداء على الفكر كيما يعاود اختراع مهلته حتى في صميم الانسراع الفالت من كل توقيت. ولذلك، حتى لا يغدو البحث عن السؤال النهضوي التائه، مجرد تأويل جديد، لا بد من الاعتراف الصريح أولاً بالانكساد، ليس كإشكالية منغلقة على ذاتها ومنتهية، بل كتهديد مستمر لأية فاعليات إنتاجية أخرى قادمة، قيد الاعداد أو الانتظار. بهذا المعنى وحده فقد يساعد الاعتراف على ممارسة الارتداد إلى السؤال عينه، والتمترس وراء نصه. وفي حيّز السؤال وحده يمكن التقاط إشارة أخرى للنهوض والتشبث بها كيما تبقى عالية فوق كل ما سوف يحمل اسمها من أفعال النهوض غير المتحققة بعد.

في زمن الانكسار ليس للفكر من مهمة سوى انبعاث السؤال النهضوي، والتشبث به منزهاً ومنفصلاً عن كل الانتاجات/التمارين التي رفعته كشعار، وأخطائه كحقيقة. ومع أن كل منتَج لا بد أن يشي بفاعله، إلا أنه لا يمكن أن يختصر أو يختزل صاحبه.

هنالك سبيلان لمواجهة الانكسار: إما في النبش تحت كل ركام عن سؤاله النهضوي واسترداد ذاكرته محررة من حمولات التهشيم العالقة بأذياله، وإما الانسحاب من ساحة الفعل على خشبة المسرح والانكفاء إلى مقاعد المتفرجين، وقد يكون ذلك هو السبيل الأغلب والجاذب لما يسمى بالأكثرية الصامتة لمجتمعات الانكسار. إنه التحويل الأخطر الذي تخضع له إنسانية العصر المرآوي، وخاصة منها شعوبها المقهورة والمقذوف بها إلى هوامش أوطانها وأقدارها؛ ههنا تلعب التلفزة، التي هي سيدة المنظور والمسموع، أدوار التحييد التام والمسبق لردود الفعل لدى الجمهور العاجز، والمعجّز أصلاً، عن أدنى تدخل في مجرى شؤونه الحيوية. فتمنحه تلفزةُ الكوارث لذةَ الموقع المنفصل عنها، المتفرج عليها وكأنها تحدث لغيره. هكذا يتنصّل جمهور الفرجة من أية علاقة بأحداثه عينها، من أية مسؤولية عن الحدثان الكارثي المعربد في أنحاء أوطانه. إنه إدمان الفُرجة على قتل الفلسطيني فالعراقي فالسوداني فالصومالي، يصحبه إدمان الانشداد إلى تصايح وتشاتم فرسان المعارك اللفظوية، فيما يسمى بمجالس الحوارات التلفزية.

إنه التحويل المرآوي للكتلة الجماهيرية الأوسع كيما تصبر على التعايش مع مهالكها اليومية. لا تحيا أصلاً قلق النهضة، لا تدري بها أو بنكباتها، لا تعلم إن كانت النهضة حَيَتْ مرةً وأنها تموت مرات. يلذّ لها الإيغال في خدر الصورة والصوت. ههنا كل شيء موجود بلا وجود، لا يحلّ الا لينقضي. معلومة الصوت والصورة، رغم ماديتها المباشرة، ليس لها من ديمومة إلا لحظة الحاضر الذي ما أن يهلّ حتى يتلاشى. كُل لمحة صورة أو نبرة صوت إنما تعتمد على التوالي الزمني الذي لا يتوقف عند حادثة الا ليمحوها بحادثة تتبعها. فالواقع يلعب في فضاء الفرجة، حيثما لا يتبقى منه الا ما تلتقطه ذاكرة للأشباح وللأصداء. ذاكرة الفرجة لن تكون أبداً مسرحاً للوقائع أو تحريضاً على مواقف. الصور الضوئية تغتال بعضها. محكومة بالتوالي والتتابع الذي لا يقدم الآتي منها إلا على أساس المعدوم والهارب والمختفي منها. الزمن لا يلتقطها، والمكان لا يمسك بها. تصير التلفزة بديل الواقع الذي تدّعي نقله. بقدر ما تُبرز مادية المشهد، بقدر ما تغدر بها سريعاً وتلغيها. كل مشهد مكرس سلفاً لخسران ما يشهد عليه. مشهدة العالم بصرياً سمعياً تعني تحويله إلى عواصف أضواء وأصداء، أي إلى كل ما هو من مادة الفراغ وحده. إنها لا ترفع الجدار الرابع عن الحادثة، كما يفعل المسرح، بل تُسقط الجدران الأربعة، وخشبة المسرح معها.

استبداد الفرجة قد يعوض عن استبداد واقعية الواقع. يحرر المتفرج من كلفة الحدثان، من وطأته، مهما كانت آتية بروائعها أو فظائعها. بل يجعل الانفعال بالرائع كما بالكارثي، مشابهاً لبعضه. فلا الجميل الضوئي المرآوي يثير متعة حقيقية، ولا الفظيع المرآوي يبعث النقمة على فاعله، والرحمة على ضحيته. بدلاً من تغيير الواقع يُصار إلى تغيير القناة إلى أخرى. وحيثما تكون الشعوب ممنوعة من استخدام ألسنتها فإنها تترك ألسنة الصور تتحدث بالنيابة عنها. تفكر عنها، وتوجه. تطلق الأحكام والصفات، تصدر الأوامر اليومية بالكراهية والغضب أو بالاحترام والتمجيد. تحدد الاصطفافات السياسية مع هذا وضد ذاك. هكذا تتنازل حشود التلفزة كل ليلة عن حياتها البائسة، تسلّمها بآمالها ومآسيها لإيحاءات الحيوات الأخرى المعروضة عليها، كما لو كانت – هذه الايحاءات – من صنع ذات العيون المشدوهة بالعوالم الشبحية المسفوحة على سطوح الشاشات.

وباء التلفزات، الفضائيات (العربية)، المتناسخة عن بعضها، يدفعها إلى التسابق فيما بينها على اعتقال العدد الأكبر من رؤوس المشاهدين. تتحول شعوبنا المقهورة إلى شعوب من المشاهدين فحسب. يصير الناس في بلادنا مصنوعين بما يشاهدونه، كل ليلة، وهم أسرى بيوتهم الباردة الفقيرة. لم يعودوا مجرد متفرجين على (آخرين). إنهم و(الآخرين) محشورون في إطار الشاشة. بَطُلتْ المسافة بين المتفرج والمشهد. الجميع صاروا من سكان الشاشة، من أهلها؛ الصورة وطن الجميع، حيثما يتحول الجميع إلى أشباح يخالطون أشباحاً.

هل نقول إذن إنه التحويل التلفزي، أو المرآوي، قد غدا بديلاً عن التحويل النهضوي. أو أن الأول يجيء إنذاراً باستحالة الثاني أو استعصائه تحت مسلسل من سلالة الانكسارات وحدها، بدون أدنى انتظار لمنعطف مغاير. ولعل أسوأ ما يمكن أن يفعله استبداد الصورة بجمهورها هو اعتياد المؤالفة مع المكروه كمشهد، تمهيداً لإلغاء حقيقته كواقع. بينما ليس ثمة موقف نهضوي بدون قوة الرفض ضداً على قوة الموضوع المكروه. هنالك حاجة، تكاد تكون علمية، لبروز الواقع المضاد في معالمه المادية، دون أي تجريد لها، وإن بواسطة الصور أو الرموز والإشارات. فإن فجائية الواقع تعادل وجوده. وما تعنيه الفجائية هو حضوره كما هو. فكل ما هو منقول عن (الشيء) لا يأتي بالشيء عينه. عملية النقل تتدخل في بضاعتها. ولعل أعظم تدخل يشهده عصرنا ما بين الذات والموضوع هو سلطان المرآوية.

النهضوي لا يكون بدون استحضار نقيضه الانحطاطي: النهضوي هو فعالية كشف وانكشاف. إنه العدو الأخير للمرآوي. فالشاشةُ تخفي من حيث أنها تُظهر. تتوارى من حيث أنها تضيء. ومع ذلك لا أحد يقول بإلغاء الشاشات الصاخبة شرط ألا تشوه صخب العالم. فقد عاشت الإنسانية آلاف السنوات قبل أن تخترع شاشات الأوهام. وكانت لها حضاراتها التي تثبت القدرة الانسانية على التعامل المباشر مع الواقع وتغييره. لكن ما يحدث لإنسانية العصر المرآوي هو محاولة استنساخها في أشباحها. لن تكون فاعلة التغيير بقدر ما تكون مفعولةً به؛ والشعوب المستضعفة هي التي تتلقى قبل غيرها تمارين هذه المحاولة الجهنمية، فيجري استنساخها بإعادة صبّها وإنتاجها في قوالب انحطاطها المتوارث، مضافة إليها بعض الروائب من نفاية العصر المرآوي المعاصر.

* مفكر عربي مقيم في باريس

شيعة السعودية بين اغراء الحاكم وفتاوى المشايخ

د. مضاوي الرشيد *

■ وقعت الاقلية الشيعية السعودية في ازدواجية صعبة فمن جهة لا تمل اجهزة الاعلام من تعداد المبادرات الحكومية لتحسين اوضاعهم المعيشية وتلبية احتياجاتهم الحياتية وتطوير البنية التحتية لمناطقهم وايجاد فرص العمل والبعثات الدراسية لشبابهم الذين يعانون من البطالة كغيرهم من الشباب. وفي نفس الوقت اطلقت السلطات العنان لفتاوى التكفير الجماعي والتي تصور وكأنها آراء شخصية لا تمثل الموقف الديني الرسمي ولا موقف السلطة ذاتها. يقف النظام متفرجا على بيانات وفتاوى التكفير بل ربما يعتبرها حرية فكرية واجتهادات لا يمكن اقفال الباب في وجهها رغم انه لا يتردد في قمع اي فكر آخر خاصة وان كان هذا الفكر يشكك في قراراته ويستعرض اخطاءه. فجزرة النظام الموهوبة من القيادة تقابلها عصا الفتاوى المتداولة والتي تهيج المشاعر وتحقن النفوس وربما تستعمل وتفعل هذه الفتاوى في المستقبل خاصة وان امتدت الحرب العراقية الى دول الجوار. تبدو هذه السياسة وكأنها استراتيجية مدروسة ومخطط لها اذ ان العفوية تنعدم في بلد كالسعودية والبيانات التي تصدر من جهات تسمى مستقلة او شعبية لا ترى النور عادة الا بعد ان يأتيها الضوء الاخضر من احد اطراف النظام وكذلك هي الحال اليوم مع فتاوى التكفير.

سياسة النظام السعودي لها سوابق تاريخية قديمة. واستعمال الاقليات من قبل الانظمة الشمولية او الاستعمارية لها تجربة طويلة ومتشعبة. يعتمد الحاكم المستبد دوما على الاقلية العددية اما في ضبط وضعه الاقتصادي او العسكري او الاستخباراتي. بحكم كون المجموعة اقلية نجدها دوما تخاف من الكثرة العددية للآخر كما نجد ان الحاكم ذاته يجد في الاقلية من الاضطراب ما يجعلها تعتمد عليه اعتمادا كليا لحمايتها من سخط الاكثرية. وتقوم السلطة المستبدة الخارجة عن ارادة الاكثرية رغم انها ربما تنتمي للأكثرية باستغلال هذا الاضطراب لتخلق أقلية تعتمد عليها كليا من اجل حماية نفسها. فالسلطة والاقلية ذاتها ترتبط حينها بلحمة عضوية وتنشأ عادة علاقة حميمة بين الطرفين. خذ مثلا كيف اعتمد الاستعمار البريطاني في الهند على السيخ والغورغا ليخلق القوة العسكرية التي تؤدب بها القوة الاستعمارية الاكثرية المغلوبة على امرها. وطبق الاستعمار البريطاني نفس السياسة في العراق في فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى اذ خلق ألوية عسكرية من الآشوريين القادمين الى العراق من ايران وتركيا وبنفس الاسلوب استعمل الاستعمار الفرنسي مجموعات اقلية في سورية ولبنان والمغرب العربي لتدبير شؤون المستعمرات. وقد تمادى هذا الاستعمار في استعماله لهذه الاقليات حتى تحول وجودها في مرحلة ما بعد الاستعمار الى كابوس يقلقها ويقلق الاكثرية واضطرت مجموعات جزائرية ان ترحل مع المستعمر الى فرنسا حيث استوطنت بادىء الامر في مخيمات خاصة عرفت بمخيمات الحركي تماما كما اضطرت المجموعات الآشورية الى الهجرة الى بريطانيا بعد استقلال العراق.

وبعد استقلال الدول العربية بقيت ممارسات الاستعمار كمثل تحتذيه حكومات المنطقة. فكم أمير وسلطان ورئيس اعتمد على اقليات تضبط اموال الدولة واجهزتها العسكرية والاستخباراتية بل ان هناك نظاما عربيا اعتمد على اقليات مهاجرة من الشيشان وداغستان لتضبط مخابراته وثانيا سلم خزينته للهندوس وثالثا اعتمد حتى على اليهود مستغلا خبرتهم في جمع الاموال وحفظها وتكثر الامثلة. وهاهي السعودية تنضم الى المجموعة العربية وتفعل أقليتها الشيعية علها تلعب دورا ما لمواجهة المرحلة المقبلة بكل تداعياتها. تستغل السلطة السعودية الاقلية الشيعية وخاصة اقلام المثقفين لتشن حربها على ما تسميه التطرف ووجدت السلطة اقلاما كثيرة عند هذه الاقلية مستعدة لتخوض الحرب على الارهاب مع السلطة ضد تيار نشأ في حضن الاكثرية وفي مقابل انخراط الشيعة في هذه الحرب تأتي مقابلها متطلبات السلطة وهي متعددة لكن اهمها الانفصال عن اغراء ايران وقطع الروابط الدينية والطموحات السياسية التي قد تحتضنها الاقلية الشيعية او تطمح لان تفعلها في حال نشوب حرب اقليمية على ضفاف الخليج.

وتتعالى اصوات سعودية داعية الشيعة الى تفعيل الانتماء الى الوطن على حساب الروابط الدينية الشيعية المعولة وكأن هذه الاصوات تستجدي شيعة المملكة وتتزلف لها وترجوها ان تنظر الى واقعها وتذكرها بالأمن والرخاء في منطقتها الشرقية وتنهاها عن الاستجابة الى روابط الطائفة والمذهب. ولكن في نفس الوقت تجد هذه الاقلية نفسها محطة لتلقي فتاوى التكفير والتي قد تهدد امنها وتنذر باقتتال مرير. وتعلم جيدا انها لن تكسب المعركة ان هي حصلت على ارض المملكة. اغراء الحاكم قد يفتح المجال لهذه الاقلية ان تحقق بعض المكاسب المادية الآنية ولكن عاقبة الاتصال بسلطة قمعية تبقى وخيمة وتكون عادة نهايتها مأساوية.

يؤدي ارتباط الاقليات بالسلطة المطلقة حيث تتحول الى اداة بيد هذه السلطة تجندها ضد الاكثرية الى صعود بطيء نحو الهاوية لن تحصد منه الاقلية سوى التهجير والقتل والدمار ساعة تغير المعادلة او انقلاب السلطة نفسها على الاقلية في محاولة لارضاء الاكثرية واستجابة لمطالبها.

يبدو ان النظام السعودي فضل الازدواجية فمن جهة هو يحاول تحييد هذه الاقلية خاصة بعد ان انكشفت الاوراق على طاولة العراق ومن جهة اخرى يريد ارضاء الاكثرية والتي تنادي بأصوات متعالية بنصرة اخوان لهم في العراق، وبما ان هذا النظام لم يتخذ ولن يتخذ موقفا واضحا وصريحا مما يحصل في العراق فهو مضطر ان يلوح بالجزرة من جهة ويسمح لعلمائه بتلويح العصا من جهة اخرى. وسيبقى الحال هكذا حتى تقرر الولايات المتحدة مصير سياستها الجديدة في المنطقة وترسل برؤوس اقلامها الى الحكومة السعودية وستظل العلاقة بين الاقلية والاكثرية متشنجة الى اشعار آخر.

سيعتقد الشيعة في السعودية ان النظام هو الدرع الواقي في وجه تسلط الاكثرية حيث تبدو السلطة وكأنها الحامي الاول والاخير لهذه الاقلية من اضطهاد الاكثرية ولكن من المعروف ان ليس للاستبداد مذهب او دين او طائفة. مصلحته الاولى والاخيرة هي التفتيت والتشرذم الكفيلان ببقائه متربعا على السلطة. وستكتشف هذه الاقلية انها بقربها من السلطة وانخراطها في لعبة النظام مع الاكثرية والتي بدأت تتمرد على مخططات حاكمها ستتحول يوما ما الى كبش فداء قد تضطر السلطة الى تقديمه كقربان لكسب ود الاكثرية.

تعرف السلطة السعودية كيف تلعب بطاقة الطائفية وكيف تفعل هذه البطاقة عند الضرورة. وظفت القيادة السعودية فتاوى تكفير الشيعة لتبرر استيلاءها على الاحساء في بداية القرن العشرين ووظفت نفس الفتاوى عندما اندلعت الحرب العراقية ـ الايرانية في الثمانينات. وها هي اليوم توظف نفس الفتاوى في حال تطور الوضع العراقي والاقتتال الطائفي فيه الى ما وراء الحدود. يعرف الشيعة جيدا ان التناغم الذي حصل بينهم وبين السلطة خلال فترة التسعينات كان قائما على خلفية صعود التيار الاسلامي السني في السعودية لذاتها والمصالحة التي تمت بينهم وبين النظام لم تكن الا محاولة لامتصاص نقمة هذه الاقلية في مرحلة ظهرت فيها معارضات اسلامية منبثقة من مجتمع الاكثرية السنية. ولعبت قيادة ايران دورا مهما أولا في اشعال القضية الشيعية وثانيا في اطفائها عندما تحسنت العلاقة مع النظام السعودي في مرحلة التسعينات.

ومن مصلحة النظام السعودي ان تبقى فتاوى التكفير مؤججة لانها بالفعل تجعل شيعة المملكة يعتقدون ان النظام هو حاميهم والمدافع عنهم امام هذا الزخم وقدرته على تأجيج العنف الطائفي.

تتفق سياسة الاستعمار وسياسة الدول القمعية في امور كثيرة ولكن يبدو ان التعامل مع الاقليات هو المحطة التي توضح استمرارية تاريخية واستراتيجية مدروسة هدفها الوحيد هو ديمومة نظام لا يقوم على عقد اجتماعي بل يقوم على القهر والعنف المنظم. المستعمر والدولة القمعية يشتركان في صفات تجعل استراتيجيتهما متناغمة ومتناسقة من اجل تحقيق الهدف الاول والاخير كاطالة عمر الاستعمار او اطالة عمر المستبد واستئثاره بالسلطة. لذلك نجد ان الاقتتال بين الاكثرية والاقلية هو نتيجة حتمية لرحيل الاستعمار كما حصل في الهند بعد انهاء الاستعمار البريطاني او بعد تفتت السلطة المطلقة ونهايتها كما حصل في العراق او كما حصل في فلسطين منذ نصف قرن.

يتلازم رحيل المستعمر او انهيار السلطة المطلقة المحلية مع تفجر المكبوت والثارات حيث يبحث الجميع بما فيها الاكثرية والاقلية عن حقوق سلبت وعدالة همشت. يحارب الجميع من اجل غنيمة لطالما انتظروها وكانت توزع عليهم حسب الاهواء ومتطلبات المرحلة السياسية وضغوطها. والنتيجة الحاصلة ان السلطة المطلقة لا تعرف عدوا دائما او كافرا دائما او مشركا دائما، كل ما تعرفه ان لديها القدرة على اسكات اصوات ورفع اصوات اخرى ان كان هذا في مصلحة بقائها على العرش. وتعرف هذه السلطة اللعب على الحبال بشكل بهلواني وسريع ولكن معطيات المنطقة العربية قد تؤدي الى تشابك هذه الحبال لدرجة يصعب على السلطة ذاتها ان تفكك عقدها وتحل طلاسمها وان استعانت بأكبر طاقم من المحللين الاستراتيجيين والمستشارين المحنكين او النفاثات في العقد.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

بوش: «فتنمة» العراق و«الى ايران دُر»!

محمد صادق الحسيني

■ لم يأت بوش بجديد فيما سماه بالاستراتيجية الجديدة في الحرب على العراق سوى انه طالب «الضحية» أي العراقيين التابعين بتصحيح عمل الجلاد وممارساته القاتلة خلال الاربع سنوات الماضية.

بعد ان فشل فشلا ذريعا في اخضاع الشعب العراقي وفي ارهاب وترويع المنطقة المحيطة بالعراق من مختبر مذابح العراق الطائفية والاهلية يتجه اليوم باستراتيجيته الجديدة الى ما يشبه «الفتنمة» في المرحلة الاخيرة من حرب الفيتنام.

صحيح أنه لا يتعلم من دروس التاريخ الا درسا واحدا هو «عدم التعلم من التاريخ» كما قالت الـ«نيويورك تايمز» في اول تعليق لها على خطاب بوش «الاستراتيجي»!

بعد اربع سنوات من التبجح بالانتصارات المتوالية و«الانجازات» الرائعة للعراق وللعراقيين والادعاء اكثر من مرة بان الحرب قد انتهت وان النصر قد تحقق او يشارف على التحقيق في كل انحاء العراق يقدم رئيس اكبر دولة عظمى في العالم استراتيجية «جديدة» قوامها 21 الف جندي للسيطرة على امن بغداد.. بل قل شارعا واحدا من شوارع بغداد وهو شارع حيفا!!

انها المهزلة الدولية التي ما بعدها مهزلة!

لكن لا تستغربوا ولا تتسرعوا فقد كشفت التقارير الواردة من تحت الطاولة وكشفت بعضا منها السيدة «الحكيمة» رايس اثناء استجوابها امام مجلس العلاقات الخارجية في الكونغرس هو انها القوات الامريكية تدرب المئات ـ قالت ان دفعة اخيرة منهم قوامها 1200 عنصر ـ من العشائر السنية من الانبار في الاردن لمقاتلة المتمردين في الانبار!!

واذا ما علمنا انهم يحضرون لمعركة شيعية شيعية اخرى عنوانها القضاء على جيش المهدي الشيعي فاننا سنكتشف ان جزءا سريا من الاستراتيجية «الجديدة» للرئيس بوش يقضي بمزيد من الاقتتال بين طوائف واطياف الشعب العراقي.. اي ايكال مهمة الجلاد العاجز والجبان الى الضحية نفسها.

الامر سيزداد تعقيدا اذا ما اضفنا الى معلوماتنا بان ثلاث فرق من البيشمركة الكردية سيستقدمون للمساعدة في استعادة الامن في بغداد، وهذا يعني مزيدا من جهات الحقد والكراهية والحرب الاهلية العراقية.

وفوق ذلك كله فان السيدة رايس قادمة على عجل الى المنطقة لتبلغ الذين ذكرهم بوش بالاسم من «المعتدلين» بان «بقاءهم» رهن بنجاح الاستراتيجية «الجديدة» في العراق.. واذا ما علمنا بان الجزء السري الاخر من الاستراتيجية «الجديدة» في العراق هي «الى ايران دُر» اي تحشيد اقليمي لدول الجوار العراقي ضد ايران تحت اي عنوان كان، فان فيلم «الفتنمة» سيكتمل عندئذ بالتمام والكمال!

لقد قالت رايس اثناء جلسة الاستماع بان قواتها ستطارد المتمردين حتى الحدود الايرانية والسورية.. واذا كان رئيس مجلس العلاقات الخارجية في الكونغرس قد سألها اولا ان كانت القوات ستعبر الحدود بغرض الامساك بهم وتهربت من الاجابة مما اضطره الى تذكيرها بان ذلك يحتاج الى موافقة الكونغرس، الا ان عملية اقتحام القنصلية الايرانية في اربيل وتعيين قائد جديد للعمليات في الحرب على العراق قد تكون رسالة واضحة وقوية الى ان جزءا لا بأس به من الاستراتيجية «الجديدة» سيكون بدء التدريبات في الحرب على ايران!

المشهد اذن بات واضحا ولا حاجة الى كثير من التأويل والتفسير والاجتهاد وجهة داخلية للاستراتيجية الجديدة عنوانها مزيد من الاقتتال الداخلي. وهذه المرة ليس فقط سنيا ـ شيعيا بل وسنيا ـ سنيا وشيعيا ـ شيعيا وكرديا ـ عربيا، وجهة خارجية عنوانها عربي ـ ايراني وقد يتم ادخال الاتراك فيها ايضا فضلا عن اقتتال عربي ـ عربي قد يكون مسرحه فلسطين الجريحة او لبنان او بعنوان الحشد ضد سورية تحت عنوان محاربة نفوذ المحور السوري ـ الايراني!

انه فعلا ـ «الزمن العربي الرديء» الذي ظل يحذر منه الزعيم الشهيد الراحل ياسر عرفات قبل ان يسممه الاسرائيليون واعوانهم من «يهود» الداخل الفلسطيني بهدف «افتتاح» التدريبات الميدانية على حرب فلسطينية ـ فلسطينية نرجو من الله ان لا تحصل ابدا ويتم وأدها في مهدها ان شاء الله.

الفيلم نفسه قد يبدأ في اية لحظة من لبنان وهو ما نرجو ايضا من الله ان يتم دفنه الى الابد.

لكنها «الاستراتيجية الجديدة» لاداة المحافظين الجدد الذين يختطفون القرار الامريكي منذ سنوات ويحتفظون بالرئيس جورج بوش أسيرا حتى نهاية العام 2008 ظنا منهم بانه «الافضل والانسب» لتحقيق مآربهم!

لكن على العراقيين والعرب والمسلمين الانتباه جيدا بان معركة «الاستراتيجية الجديدة» هذه ستكون مفصلية كما قال جورج بوش هذه المرة. اي انها ستكون معركة «بقاء» او «عدم بقاء» كما هدد وتوعد تحت عنوان التحذير! اي انها معركة حياة او موت!

ثمة من يقول ان هذا الهجوم «الانتحاري» لبوش وحواريه قد يكون هجوما تفاوضيا وهذا ممكن اي انه يبحث عن شركاء في «التسويات» لكن على الامة ان تحضر لمحاكمته امام عدالة التاريخ لانه المسؤول حسب اعترافاته عن مقتل مئات الالاف من العراقيين.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 723152
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364